وحتى رأيت الشخص يزداد مثله ... إليه وحتى نصف رأسي واضح
ملاحا حتى الشيب حتى كأنه ... طباء جرت منها سنيح وبارح
وهزة أطعان عليهن بهجة ... طلبت وريعان الصبا بي جامح
فلما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطي الأباطح
وشدت على حدب المهاري رحالنا ... ولا ننظر الغادي الذي هو رائح
قبلنا على الحوض المراسيل وارتمت ... بهن الصحاري والصفاح الصحاصح

والأباطح جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى لما فرغنا من أداء الحج ومسحنا أركان البيت عند طواف الوداع وشددنا الرحال على المطايا وارتحلنا ولم ينتظر السائرون في الغداة السائرون في الرواح للاستعجال أخذنا في الأحاديث وأخذت المطايا في السير والشاهد فيه حصول الغرابة في الاستعارة العامية تتصرف فيها فإنه استعار سيلان السيول الواقعة في الأباطح لسير الإبل سيرا حسنا في غاية السرعة المشتملة على لين وسلاسة والشبه فيها ظاهر عامي لكنه تصرف فيه بما أفاده اللطف والغرابة حين أسند الفعل وهو سالت إلى الأباطح دون المطي أو أعناقها حتى أفاد أنه امتلأت الأباطح من الإبل وأدخل الأعناق في السير لأن السرعة والبطء في سير الإبل يظهران غالبا في الأعناق ويتبين أمرهما في الهوادي وسائر الأجزاء يستند إليها في الحركة ويتبعها في الثقل والخفة ومثل هذه الاستعارة في الحسن وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز

سالت عليه شعاب الحي حين دعا ... أنصاره بوجوه كالدنانير

أراد أنه مطاع في الحي وأنهم يسرعون إلى نصرته كالسيل وكان إدخال الأعناق في السير أكد من الدقة والغرابة في الأول أكده هنا تعديه إلى الفعل إلى ضمير الممدوح بعلى لأنه يؤكد مقصوده من كونه مطاعا في الحي وكثير عزة هو ابن عبد الرحمن بن أبي جمعة الأسود بن عامر بن عويمر أبو صخر الخزاعي الشاعر المشهور أحد عشاق العرب وإنما صغروه لأنه كان شديد القصر حدث الوقاصي قال رأيت كثيرا يطوف بالبيت فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فلا تصدقه وكان إذا دخل على عبد الملك بن مروان أو أخيه عبد العزيز يقول له طأطئ رأسك لا يصيب رأسك السقف وعن أبي عبيدة قال كان الحريز الكناني قد ضرب على كل رجل من فرس درهمين في كل

شهر منهم ابن أبي عتيق فجاءه لأخذ درهميه على حمار له أعجف قال وكثير مع ابن أبي عتيق فأمر ابن أبي عتيق للحرير بدرهمين فقال الحرير لابن أبي عتيق من هذا معك قال أبو صخر كثير عزة ابن أبي جمعة قال وكان قصيرا ذميما فقال الحرير أتأذن لي أن أهجوه ببيت من شعر قال لا لعمري أذن لك أن تهجو جليسي ولكن أشتري عرضه منك بدرهمين ودعا له بهما فأخذهما وقال لا بد لي من هجائه ببيت قال أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما فأخذهما وقال ما أنا بتاركه حتى أهجوه قال أو أشتري ذلك منك بدرهمين قال له كثير أيذن له وما عسى أن يقول في بيت واحد فأذن له ابن أبي عتيق فيه فقال

قصير القميص فاحسن عند تيهه ... بعض القراد يأسه وهو قائم

قال فوثب إليه كثير فلكزه فسقط من الحمار وخلص إلى ابن أبي عتيق بينهما وقال لكثير قبحك الله أتأذن له وشفعه عليه فقال كثير وأما طبيب أنه يبلغ في بيت واحد هذا كله وكان كثير يقول بتناسخ الأرواح وكان يدخل على عمه له بزره فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها فقال لها يوما لا والله ما تعرفيني ولا تكرميني حق كرامتي فقالت بلى والله إني لأعرفك قال بمن أنا قالت فلان بن فلان وابن فلانة وجعلت تمدحه وتمدح أباه وأمه فقال قد علمت أنك لا تعرفيني قالت فمن أنت قال أنا يونس بن متى وكان يقرئ في أي صورة ما شاء ركبك وكان يؤمن بالرجعة فدخل عليه عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام يعوده في مرض موته الذي مات فيه فقال له كثير أبشر وكأنك بي بعد أربعين ليلة قد طلعت عليك على فرس بن عتيق فقال له عبد الله بن حسن ما لك عليك لعنة الله والله لئن مت لا أشهدك والله لا أكلمك ولا أعودك أبدا وكان شيعيا غاليا في التشيع كان يأتي ولد الحسن بن الحسن إذا أخذ العطاء فيهب لهم الدراهم ويقول وأنا الأنبياء الصغار وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إني لأعرف صلاح بني هاشم من فسادهم يحب كثير من أحبه منهم فهو فاسد ومن أبغضه فهو صالح لأنه كان حسينيا يؤمن بالرجعة وحدث رجل من مزينة قال ضيفت كثيرا ليلة وبت عنده ثم تحدثنا ونمنا فلما طلع الفجر تضور وقال يا جارية أتجري لي ما أي أسخن فقال قلت تبا لك سائر اليوم وبعده وركبت راحلتي وتركته وكان كثير عاقا بأبيه وكان أبوه قد أصابته قرحة في أصبع من أصابع يديه فقال له كثير أتدري لم أصابتك القرحة في أصبعك فقال لا أدري قال بما ترفعها إلى الله تعالى في يمين كاذبة وعن

ليا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)